

خطبة بعنوان: النظافة وأثرها في سلامة الفرد والمجتمع

بتاريخ: ٢٤ شوال ١٤٣٧ هـ - ٢٩ / ٧ / ٢٠١٦ م

عناصر الخطبة:

العنصر الأول: حث الإسلام على النظافة

العنصر الثاني: مظاهر النظافة في الإسلام

العنصر الثالث: عناية الإسلام بنظافة الباطن مع الظاهر

العنصر الرابع: أثر النظافة في سلامة الفرد والمجتمع

المقدمة:

أما بعد:

العنصر الأول: حث الإسلام على النظافة

لقد حث الإسلام على نظافة البيئة وجمالها ونضرتها والعناية الفائقة بها، واعتبرها من صميم رسالته؛ وذلك لأن أثرها عميق في تزكية النفس وتمكين الإنسان من النهوض بأعباء الحياة، كما اهتم الإسلام بنظافة الأجسام اهتماماً كبيراً، وقد بيّن صلى الله عليه وسلم أن الرجل الحريص على نظافة بدنه، ووضاءة وجهه، يُبَعِّثُ على حاله تلك يوم القيامة، فعن أبي هريرة قال سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أمتي يُدعون يومَ القيامةِ غُرّاً مُجَلِّينَ من آثارِ الوضوءِ، فمن استطاع منكم أن يُطِيلَ عُزَّتَهُ فليُفعل." (البخاري)

ومن يتصفح السنة النبوية والأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك سيجد أحاديث كثيرة تدعو إلى النظافة، ولا توجد أمة على سطح الأرض أشد حرصاً على نظافتها من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فالإسلام حضّ أتباعه على النظافة وأمر بها بشكل عام، لذلك جعل الطهارة شرطاً لكثير من العبادات، كالصلاة، والطواف بالبيت الحرام، وقراءة القرآن... فهذه أمور لا تصح العبادة بها إلا إذا كان المسلم طاهراً، متوضئاً، حريصاً على نظافة جسمه وبدنه وثوبه ومكانه، ولأجل ذلك أمر المسلم أن يتطهر بعد قضاء الحاجة، وقد بيّن لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن من أسباب عذاب القبر عدم تنزّه المرء من بوله؛ كذلك نقرأ جيداً في كتب الفقهاء أحكام الغسل من الجنابة والحيض والنفاس، وكذلك الأمر بالغسل كل يوم جمعة، حتى أنه جاء في بعض الأحاديث أن غسل الجمعة واجب على كل محتلم [متفق عليه]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام، يغسل رأسه وجسده." (صحيح مسلم)؛ وذلك من أجل نظافة وطهارة بدنه؛ لأن البدن يعكس حقيقة ما عليه الإنسان من طهارة معنوية كما يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى: "أما البدن فليست الصورة داخلية تحت كف الآدمي، بل يدخل تحت كفه تحسينها وتزيينها". أي أن الإنسان الذي يزين من ظاهره ويزين من ثيابه فهذا يعكس زينة باطنه، ويعكس صلاح قلبه ونقاءه وصفاءه.

عباد الله: كثير من الناس يظنون أن الدين الإسلامي ليس له علاقة بالنظافة، وهذا ما اعتقده مشركو العرب؛ بل وتعجبوا من ذلك متسائلين، فعن سلمان قال: قَالَ لَهُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ: إِنِّي أَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْحِرَاءَةَ؟ قَالَ: "أَجَلْ، أَمَرْنَا أَنْ لَا نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، وَأَنْ لَا نَسْتَنْجِي بِأَيْمَانِنَا، وَلَا نَكْتَفِي بِدُونَ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، لَيْسَ فِيهَا رَجِيعٌ وَلَا عَظْمٌ." (ابن ماجه)؛ بل جعل الإسلام الطهارة والنظافة جزءاً من الإيمان، فعن أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الطهور شطر الإيمان" (مسلم) والطهارة في الإسلام شرط لصحة الصلاة، سواء كانت الطهارة من الحدث بالوضوء والغسل، أم من الخبث؛ بالتنظيف المناسب، وهي طهارة الثوب والبدن والمكان، ولهذا كان (باب الطهارة) أول ما يدرس في الفقه الإسلامي؛ لأنه مدخل ضروري للصلاة، فمفتاح الجنة الصلاة، ومفتاح الصلاة الطهور، وقد أثنى القرآن الكريم على أهل قباء لحرصهم على التطهر وحبهم له، فقال تعالى: { لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ } (التوبة: ١٠٨).

أيها المسلمون: إن مظاهر النظافة والطهارة في الإسلام تشمل جميع عناصر الكون الموجودة في الحياة وتتمثل فيما يلي:-

١ - نظافة الأسنان والفم: فمن السنن المؤكدة السواك، فعلى استخدام الفرشاة أو السواك، طهارةً لنا وإحياءً لسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ." (الشيخان)، وعن أبي أمامة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تَسَوَّكُوا؛ فَإِنَّ السَّوَاكَ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاءٌ لِلرَّبِّ، وَمَا جَاءَنِي جَبْرِيلُ إِلَّا أَوْصَانِي بِالسَّوَاكِ، حَتَّى لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيَّ وَعَلَى أُمَّتِي، وَلَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لَفَرَضْتُهُ هُمْ، وَإِنِّي لَأَسْتَاكُ، حَتَّى لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أُحْفِيَ مَقَادِمَ فَمِي." (سنن ابن ماجه)

٢ - نظافة الرأس: وذلك بغسله وتمشيط الشعر وقصه وحلقه، كل ذلك يضمني على المؤمن حسن الشكل والمظهر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ" (أبو داود)، وعن جابر قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرًا في منزلي فرأى رجلًا شعثًا، فقال: "أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ رَأْسَهُ؟ وَرَأَى رَجُلًا عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسَخَّةٌ، فَقَالَ: أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يَعْسِلُ بِهِ ثِيَابَهُ؟" (أحمد، وأبو داود، وابن حبان، والحاكم)

٣ - نظافة البيوت والأفنية والمساجد ونظافة الأماكن العامة: فلا بد من تنظيفها من كل الأقدار والأخبث التي يسوء منظرها، ويضر خبرها. فعن سعيد بن المسيب مرسلاً قال: صلى الله عليه وسلم "إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النِّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكِرَامَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ؛ فَتَطَهَّرُوا أَفْنِيَّتِكُمْ؛ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ" (الترمذي)

٤ - نظافة الثياب: وذلك بغسلها والاهتمام بالطيب والتعطر بالروائح العطرة، مما يضمني على الشخص جمالاً، ففي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»

٥ - التخلص من الروائح الكريهة: ولا سيما عند دخول المساجد، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مَنْ أَكَلَ التُّومَ وَالْبَصَلَ وَالْكَرَاثَ فَلَا يَفْرِنَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَدَّى مِمَّا يَتَأَدَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ" (مسلم)

٦ - النظافة من الحيض: فأمرت المرأة أن تغتسل بعد الحيض أو الإستحاضة أو النفاس؛ وأن تنظف مكان الدم وتطيبه بالمسك. فعن عائشة أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المَحِيضِ فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ قَالَ "خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْنَكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا، قَالَتْ كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قَالَ: تَطَهَّرِي بِهَا، قَالَتْ كَيْفَ؟ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ!! تَطَهَّرِي، فَاجْتَبِدْتُهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ: تَبْعِي بِهَا أَنْزَرَ الدَّمَ" (الشيخان)

٧ - نظافة البدن وغسله: وفي نظافة البدن أمر المسلم بغسله يوم الجمعة، حتى عبر عنه في بعض الأحاديث بلفظة (واجب)، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عُسِّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ" (الشيخان)، على أن لا يقل الغسل عن مرة في الأسبوع ففي الحديث: "حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ" (متفق عليه عن أبي هريرة) ويتأكد ذلك إذا وجدت أسبابه من العرق والوسخ ونحوه، حتى لا يكون مصدر إيداء لمن يخالطه.

٨ - الاهتمام بسنن الفطرة: وتكميلاً لذلك جاءت الأحاديث بما عرف باسم (سنن الفطرة) التي تدل رعايتها على مدى حرص الإنسان على النظافة والتجمل، والمحافظة على نعمة الصحة والزينة، فعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْقَاءُ اللَّحْيَةِ، وَالسَّوَاكِ، وَالِاسْتِشْقَاءُ بِالْمَاءِ، وَقَصُّ الْأُظْفَارِ، وَعَسْنُ الْبَرَاجِمِ، وَتَنْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ، يَعْنِي الْإِسْتِنْجَاءَ. قَالَ زَكْرِيَّا: قَالَ مُصْعَبٌ: وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمُضْمَضَةَ." (مسلم)

٩ - نظافة الطريق: وذلك بإماطة الأذى عنها، وعدم إلقاء القاذورات في الشوارع والطرق، وقد عد الإسلام ذلك شعبة من شعب الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحيا شعبة من الإيمان) (متفق عليه)، ومما حذرت منه السنة أشد التحذير:

التخلي في الطريق، ومواضع الظل، وقد جعله مما يجلب اللعنة على صاحبه، سواء لعنة الله أم لعنة الناس، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " اتَّقُوا اللَّاعِنِينَ " قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ وَفِي ظِلِّهِمْ " وفي رواية: " اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبَرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَالظِّلَّ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ. " (أبو داود، وابن ماجه، والحاكم).

١٠ - نظافة الطعام والشراب: فقد حثت السنة على العناية بالطعام والشراب، وحمائتهما من أسباب التلوث، فَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَغْلِقُوا أَبْوَابَكُمْ، وَخَمِّرُوا آيَاتِكُمْ، وَأَطْفِئُوا سُرُجَكُمْ، وَأَوْكُوا أَسْفِيَتِكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَلَا يَكْشِفُ غِطَاءً، وَلَا يَجْلُ وَكَاءً، وَإِنَّ الْفُؤَيْسِقَةَ تُضْرِمُ النَّبِيْتَ عَلَى أَهْلِهِ " يَعْنِي: الْفَأْرَةَ. " (مسلم، وأبو داود، وأحمد).

١١ - نظافة المياه: وذلك بالمحافظة على تنقيتها وطهارتها، وعدم إلقاء القاذورات والمخلفات والبقايا فيها، باعتبار أن الماء أساس الحياة، وقد جاءت أوامره صلى الله عليه وسلم ناهية عن أن يُيال في الماء الراكد، فَعَنْ جَابِرٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَّهُ نَهَى عَنْ الْبَوْلِ فِي الْمَاءِ الرَّكَدِ " (مسلم)، كما يشمل النهي البول في الماء الجاري وفي أماكن الظل باعتبارها أماكن يركن إليها المارة للراحة من وعناء السفر، وعناء المسير، وربما لأن الشمس لا تدخلها فلا تتطهر فتصبح محط الأوبئة وموضع الأمراض، وفي الحديث: " لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ " (متفق عليه عن أبي هريرة). والعلة من ذلك حتى لا تنتشر الأمراض والجراثيم، وبهذا سبقت السنة بالحث على حماية البيئة من التلوث، بل عُدَّ للمقصر في الطهارة عذابٌ أليم، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: " إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِاللَّيْمَةِ " (متفق عليه)

العصر الثالث: عناية الإسلام بنظافة الباطن مع الظاهر

إن الدين الإسلامي يأمرُ بطهارة القلب والقالب، والظاهر والباطن؛ وكما حثت شرائع الأنبياء جميعاً على تطهير الظاهر وتطهير الأبدان من النجاسات والأثواب من المستقذرات؛ فقد حثت على تطهير الباطن من الحقد والحسد والكفر والإلحاد والفجور والفسوق والتكبر والرياء؛ فالإسلام دينٌ العقيدة الطاهرة من الشرك والإلحاد والخرافات والأهواء الفاسدة ومما يُنكره العقل السليم.

لذلك وصف الله المشركين بالنجس لما يقترفوه من شرك وعبادة للأوثان؛ فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ (التوبة: ٢٨)؛ قال ابن كثير: " دلت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك كما دلت على طهارة المؤمن. " وقال السعدي: " { نَجَسٌ } أي: خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع الله آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئاً؟ " وقال قتادة: " سماهم نجساً لأنهم يُجنبون فلا يغتسلون ويُحْدِثُونَ فلا يتوضؤون. " (البغوي)

أيها المسلمون: إن للإنسان ظاهراً وباطناً؛ وإذا كان الإنسان يتجمل في الظاهر من أجل نظر الناس إليه ليروونه وهو على أجمل صورة؛ فكذلك ينبغي عليه أن يتجمل في الباطن لأنه محل نظر الخالق جلا وعلا يوم القيامة؛ وأعجبتني مقولة لأحد الحكماء يقول فيها: الخلق ينظرون إلى ظاهرك.... والخالق ينظر إلى باطنك.... فاحذر أن تُرَيَّنَ محلَّ نظر الخلق.... وثقِّبْ محلَّ نظر الخالق!!!! فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ؛ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ. " (مسلم) وفي رواية أخرى لمسلم: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ. " قال الإمام النووي: " معنى ذلك أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته. ومعنى نظر الله هنا مجازاته ومحاسبته أي إنما يكون ذلك على ما في القلب دون الصور الظاهرة. "

عباد الله: اعلموا - يرحمكم الله - أن هناك منافذ حسية ظاهرية مفتوحة وموصلة إلى الباطن تؤثر على إنارة الباطن أو ظلمته حسب الأعمال المرسله إلى الباطن (القلب)؛ وهذه المنافذ الحسية هي: (البصر، السمع، النطق) أي (العين والأذن والفم).. هذه منافذ مفتوحة على القلب، كيف تكون منافذ مفتوحة؟ أي: ما تنظر إليه تنطبع بسببه صورته في قلبك.. تماما، تلتقط الصورة وتحفظ في ذاكرة القلب.. إذا نظرت إلى شيء ظلماني انطبع صورة ظلمانية في قلبك.. نظرت إلى شيء نوراني انطبع صور نورانية في قلبك.. وهكذا

في بقية حوارك؛ ويؤكد ذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعن حذيفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تعرض الفئس على القلوب كالحصير عودًا عودًا؛ فأني قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء؛ وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء؛ حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض؛ والآخر أسود مُربادًا كالكوز مُحخيا لا يعرف معروفًا ولا يُنكر مُنكرًا إلا ما أُشرب من هواه." (مسلم)؛ وعن أبي هريرة: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء؛ فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه؛ وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله؛ { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }" (الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح)

فعلينا أن نغلق على القلب المنافذ المحرمة التي تظلم القلب وتسوده؛ ونبدلها بما ينور القلوب ويضيئها من طاعة وعبادة وذكر وتفكير وغير ذلك؛ إن فعلنا ذلك ذقنا حلاوة الإيمان في القلب؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ وأن يحب المرء لا يُجبهه إلا لله؛ وأن يكره أن يعُود في الكفر كما يكره أن يُقدف في النار." (متفق عليه)؛ لذلك ينبغي عليك أن تجعل باطنك كما تجعل ظاهرك؛ لأن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بهما معاً؛ وجمع بين طهارة الظاهر والباطن في أكثر من موضع في القرآن الكريم؛ منها: قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } [المدثر: ١-٥]، فتطهير الباطن { وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } متمثل في تطهير العقيدة وتنقيتها من شوائب الشرك والكفر والمعاصي؛ ذكّر مع تطهير الظاهر { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } المتمثل في تطهير بدن الإنسان وثوبه وبقعته، ليجمع المسلم بين النظافتين ويحافظ على الطهارتين لينال محبة الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } (البقرة: ٢٢٢) .

ومن هذه المواضع: ما أمّن الله تعالى به على بني آدم بلباس الظاهر والباطن في قوله تعالى: { يَبْنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْوِي سَوْءَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ } [الأعراف: ٣٦] . فقد خلق الله لعباده الجمالين اللباس والزينة تجمل ظواهرهم، والتقوى تجمل باطنهم وقلوبهم. ومن هذه المواضع ما ذكره الله من حال أهل الجنة في قوله تعالى: { وَلَقَبَهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا } [الإنسان: ١١، ١٢] . فجمّل الله وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحرير.

فالإسلام حريص على الأخذ بنظافة الحس مع نظافة النفس؛ وشفاء القلب مع نقاء البدن؛ وسلامة الصدر مع سلامة الجسد؛ وإن الشريعة لا تأمر الأمم والملل أن يعيشوا كما تعيش الوحوش في جزائر البحار، وكهوف الجبال، وأكواخ الأدغال، كلهم أو جلهم يعيشون غرأة أو شبه غرأة من غير مراعاة لنظافة الباطن والظاهر وحسن المظهر.

عباد الله: إن المسلمين نماذج رائعة للطهر والجمال عندما يُفقدون تعاليم دينهم في أبدانهم وبيوتهم وطرقهم ومدنهم؛ وفي إقامة شعائر دينهم؛ ومن مظاهر الطهر والنقاء والجمال والزينة في توجيهاً الإسلام وإقامة شرائعه؛ هذه الصلوات الخمس فإنها تنظف الباطن وتنهي عن الفحشاء والمنكر، ووضوءها يُنظف الظاهر؛ وبذلك جمعت الصلاة بين طهارة الظاهر والباطن؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أُرأيتم لو أن نهرًا يباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات؛ هل يبقى من دَرَنِهِ شيء؟" قالوا: لا يبقى من دَرَنِهِ شيء؛ قال: فذلك مثل الصلوات الخمس؛ يمحو الله بهن الخطايا." (مسلم) (والدَرَنُ: الأوساخ)؛ وهكذا شبه النبي عليه الصلاة والسلام الصلوات الخمس مزيلة للذنوب كما يُزيل الماء الوسخ عن الجسم إذا اغتسل منه خمس مرات؛ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تحترقون تحترقون فإذا صليتكم الصبح غسلتها؛ ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتكم الظهر غسلتها؛ ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتكم العصر غسلتها؛ ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتكم المغرب غسلتها؛ ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتكم العشاء غسلتها؛ ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا." (الطبراني وحسنه الألباني)؛ وهكذا كانت الصلاة طهارة للظاهر والباطن معها؛ فغناية الإسلام بالنظافة والتجمل والصحة والتطهر جزء من عنايته بمظهر المسلم وحياته بين المجتمعات.

فما أجمّل التجمل بأداب الشرائع النبوية والحرص على طهارة النفس والظاهر والتجمل بالعمل الحسن والقول الحسن.

عباد الله: إن من ينظر إلى مظاهر النظافة كما في عنصرنا الثاني يجد أن الإسلام شرعها من أجل سلامة الفرد والمجتمع من الأمراض والأوبئة؛ فحينما حث على نظافة وطهارة البدن والثياب والأسنان والمكان؛ فإنما من أجل السلامة من الأمراض والأوبئة التي تنتشر عن طريق القاذورات والقمامات؛ وفي تغطية الأنية حفظاً للطعام والشراب من سقوط الحشرات المؤذية التي تُؤلِّد جراثيم المرض، وهذا كله من باب الوقاية والتحفُّظ من الأمراض وأسبابها.

وفي مجال الرخص في العبادات يُبيح للمسافر أن يفطر في رمضان؛ حتى لا تجتمع مشقة السفر مع مجهود الصوم، فتضعف القوة، وتُفقد المناعة، وكذلك يُبيح للمريض أن يفطر؛ حتى لا يزداد مرضه بالصوم وعدم الغذاء، ويُبيح لمن خاف المرض، وتأخَّر البرء باستعمال الماء في الوضوء أو الغسل - أن يتيمَّم، وهذا كله من قبيل الوقاية عما يُؤذي، ومن هذا القبيل تحريم الخمر والخنزير، والإسراف في الأكل والشرب، وما إلى ذلك من كل ما يضرُّ ويؤذي.

وأباح للمُحرم إذا طرأ عليه مرضٌ، أو وجد برأسه أذى - أن يخلق رأسه، ويُزيل شعثه مع تمام إحرامه، فتزول الأبخرة المؤذية، وهذا من قبيل استفرغ المواد الفاسدة، وفي الحيض عند النساء جاء اعتزالهن من أجل الأذى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌّ فَاعْتَرَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ} [البقرة: ٢٢٢]. فقد قرَّرت الآية أن دم الحيض أذى ضارٌّ، وهكذا قرَّر الأطباء، قالوا: إن وقت الحيض أنسب وقتٍ لانتشار العدوى في الجهاز التناسلي، بسبب ما يُحدثه من الالتهابات التي من طبيعتها تقوية الجراثيم المرضية وإكثارها، وأن دم الحيض يُضعف درجة الحموضة التي تُقاوم الجراثيم، وأن الالتهاب الذي يُحدثه الحيض يقتل الحياة في مادة التناسل؛ إذ لا تجد وقت الحيض مكاناً صالحاً للاستقرار فيه.

أيها المسلمون: إن طهارة ديننا وحثه على النظافة ودعوته إليها في كل شئون الحياة كان سبباً في إسلام الكثير من الغربيين؛ وإليكم هذه القصة والتي أسلم بسببها طبيب ألماني؛ حيث كان يقطن كلباً وخصص له خادماً وطعاماً وغرفة؛ فنصح أحد المسلمين وبين له الطرق الوقائية في التعامل مع الكلاب ثم ذكر له حديث النبي صلى الله عليه وسلم إذا ولغ الكلب في إناء أحكمه فليغسله سبع مرات. وبطبيعة عمله في مجال الطب قال: ولماذا العدد سبع مرات؟! ولماذا إحداهن بالتراب؟! فجاء بأدوات التعقيم الطبية وقام بغليان الماء إلى درجة شديدة؛ وغسل الإناء غسلًا جيداً ثم نظر بالميكروسكوب فوجد الميكروبات تلحق في الإناء؛ ثم قام بإعادة غسله سبع مرات؛ ثم نظر بالميكروسكوب فوجد الميكروبات تلحق في الإناء مرة أخرى؛ فقال: لم يبق إلا تجربة محمد؛ فقام بغسله سبع مرات أدخل في إحداهن التراب؛ ثم نظر بالميكروسكوب فلم يجد شيئاً فقال على الفور: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

أحبتني في الله: إن عدم النظافة في حياة المسلم يترتب عليه الإصابة ببعض الأمراض سواء كان عدم النظافة في مآكل البيت أو في بعض المطاعم التي لا تلتزم بالضوابط المطلوبة فيما تقدمه للناس من أطعمة فيترتب على ذلك الأمراض والأوبئة ومشاكل صحية، وكم سمعنا عن بعض الأوبئة التي أصابت بعض الدول وترتب عليها وفاة الكثير من الناس بسبب إهمال المطاعم وعدم التقيد بالشروط الصحية الضرورية.

أيها المسلمون: إن للنظافة دوراً بالغ الأهمية في حفظ المجتمع من كثير من الأمراض والشور، وفي بلادنا تسعى الدولة جاهدة إلى المحافظة على سلامة البيئة ونظافتها انطلاقاً من هدي الإسلام الذي هو النظام الكامل الشامل لمناحي الحياة.

عباد الله: إننا نبتغي مجتمعاً طاهراً نظيفاً نقياً ظاهراً وباطناً؛ خالياً من الأمراض والأوبئة؛ تسوده علاقات الود والمحبة والتراحم والتواصل؛ حتى نعيش في سعادة وهناء؛ وأمن وأمان؛ وسلامة واستقرار!! اللهم جمِّل بواطننا بالإخلاص والتقوى؛ وظواهرنا بالطهر والنقاء.

كتبه: خادم الدعوة الإسلامي

وأقم الصلاة،،،،،

الدعاء،،،،،

د / خالد بدير بدوي